

(بلوم) بالأمكنة الفلسطينية وأحلامها الهادفة إلى الوصول إليها مع الشهرة الواسعة التي حازتها الرواية فإن استخلاصه صائب وواقعي أيضاً، ذلك لأن الدعايات الكبيرة والمنتشرة كالحميّ لعدد محدود من الروايات المسوقة إلينا ثقافياً لم تكن إلا لروايات حفلت بأمرين، الأول: نصرة اليهودي والحديث الطويل عن أخلاقه وقدراته بعدما وضع في خانة (الضحية)، والثاني: تناول الدين المسيحي والإسلامي بالنقد والتقولات.

والعجيب أن (جويس) كان واضحاً في دعايته لليهود وواضحاً في تعاطفه معهم بعدما كرّس مساحات كبيرة من الرواية (عوليس) للحديث عنهم، وعن نزعة الحنين للعودة إلى (أرض الميعاد) في فلسطين. ترى هل كتب (جويس) هذه الرواية (عوليس) بتأثير من أفكار هرتزل المطبوعة آنذاك والمنتشرة والداعية إلى تحقيق حلم عودة اليهود إلى (أرض الميعاد) وقيام دولتهم الموعودة فيها؟! هل كان لتلك الآراء والأفكار الهرتزلية تأثيرها على (جويس) فكتب روايته (عوليس) بوجي منها؟! أم أن أحداً من تجار اليهود وأغنيائهم قام بتوجيه (جويس) نحو الكتابة في هذا الموضوع وقد عرف ذلك اليهودي الثري حالة الفقر المدقع والبؤس الشديد اللذين يعيشهما (جويس) في غربة قاسية في ألمانية وفرنسة حيث لم يكن يملك تمن طعامه ومقامه ومبيته؟! وهل استجاب (جويس) فعلاً لتلك الرغبة اليهودية فأخذ وأعطى في الوقت نفسه، أخذ المال ليعيش في حال أحسن لا سيما وقد صار لديه زوجة وطفل بعد عام واحد من الزواج، ثم أعطى (عوليس) رواية لليهود مقابل مالهم؟! ربما حدث ذلك فنحن في أيامنا الراهنة نسمع الكثير عن المؤلفين يعملون بالتكليف، كأن يقال لهم اكتبوا في كذا وكذا مقابل كذا وكذا فيفعلون. ولا بد أن الاجتهاد والتمحيص والفحص وقراءة المذكرات التي تركتها زوجة (جويس) نورا بارناكيل، ومعرفة مجموعة الأصدقاء التي كانت تحيط به، ومعرفة رؤاهم وأفكارهم، ومعرفة خيوط العلاقات الثقافية وغير الثقافية التي ساعدت (جويس) على طبع عمله (عوليس) بعد اثنتي عشرة سنة في باريس لادبلن، كل ذلك سيؤدي إلى كشف الكثير من الأسرار التي كانت وراء كتابة هذه الرواية وطباعتها، والأرجح عندي أن رواية (عوليس) خضعت إلى تنقيحات وإضافات وطعومات عديدة خلال السنوات الاثنتي عشرة التي أعقبت كتابتها، أي أنها ظلت خاضعة للإضافات والتحوير خلال السنوات تلك حتى أصبحت مقبولة من قبل طالبيها أو ممولبيها. وثمة أمر شديد الأهمية فحواه أن الدراسات والأحاديث الشفوية المتناقلة حول (جويس) ما